إسهام في التسمية التشريحية العربية

د. يوسف مخلوف (*)

تقديم

تجسد التسمية التشريحية Nomina Anatomica الحالية تطوراً عبر القرون أسهمت فيه حضارات مختلفة ومنها بالطبع الحضارة العربية الإسلامية. وكان كل بلد يستخدم مصطلحات خاصة به بحيث أن عنصراً تشريحياً واحداً أصبح يعرف بأسماء متعددة ومختلفة، مما شكل مصدر التباس.

وقد كان المشرّحون الألمان أول من بادر إلى وضع تسمية ذات سمة عالمية ومكونة من كلمات لاتينية. اعتمدت التسمية المعروفةبـ B.N.A (Basler Nomina Anatomica) في البلدان الناطقة بالألمانية وسرعان ما امتدت إلى بلدان أخرى وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية.

شُكلت لجنة دولية للتسمية التشريحية في مؤتمر المشرحين الدولي الخامس الذي انعقد في اكسفورد عام 1950. وقد وضعت هذه اللجنة أسس التسمية التشريحية الدولية المستندة إلى تسمية B.N.A والتي تقضي بأن يسند إلى كل عنصر تشريحي مصطلحٌ واحد باللغة اللاتينية.وقد تُرك لكل بلد الخيارُ في ترجمة المصطلحات اللاتينية تبعاً لحاجات التعليم.

وقد قُدِّمت أول طبعة من التسمية التشريحية Nomina Anatomica في مؤتمر المشرحين الدولي السادس الذي انعقد في باريس عام 1955.

وقد رغب كاتب المقالة في تقديم إسهامه في التسمية التشريحية العربية استناداً إلى تعلمه باللغة العربية في كامل مراحل الدراسة منذ المدرسة الابتدائية وحتى التخرج من الجامعة والحصول على الإجازة في الطب من جامعة دمشق – وكان التخصص في التشريح في جامعة مونبلييه في فرنسا – ومن ثم تدريس التشريح باللغة العربية في كلية الطب بجامعة دمشق مدة أحد عشر عاماً.

ملاحظات حول التسمية التشريحية الدولية:

ليست التسمية التشريحية الدولية تسمية جامدة مطلقة، فهي تخضع للمراجعة المستمرة ويوجد تطور واضح ما بين طبعتها الأولى عام 1955 وطبعتها السادسة عام 1989، وتقوم بالمراجعة لجان فرعية منبثقة عن مؤتمرات التشريح الدولية وقد تتضمن المراجعة نوعاً من "التسوية"، ويمكن الإشارة إلى أمثلة لمصطلحات غير مقنعة في الطبعة السادسة:

1- نجد مصطلح Commissura grisea أي **الصوار** (الملتقى) **السنجابي**، وهذا المصطلح يخالف تعريف "الصوار" الذي يتضمن وجود ألياف عابرة لا مادة سنجابية.

2- نجد المصطلحين Rostralis **رأسي**، و Caudalis **ذيلي** اللذين يشيران إلى علوي وسفلي على التوالي.

فهذان المصطلحان إن كانا يصحان عند الجنين أو الثدييات غير الإنسان لعدم وجود مفهوم الوضعية التشريحية المستند إليها في وصف عناصر الجسم البشري فهما عند الإنسان لا معنى لاستخدامهما في الوضعية

(*)أستاذ جامعي من جامعة دمشق – سوريا

التشريحية المتفق عليها، والأبسط أن يستخدم المصطلحان علوي وسفلي بدلاً من المصطلحين رأسي وذيلي.

ملاحظات حول التسمية التشريحية العربية:

تفتقر المصطلحات التشريحية العربية إلى التنسيق الكافي ما بين المشرِّحين في البلدان العربية وتعاني من عدم إيلاء التخصص في التشريح الاهتمام اللازم. وهنالك قدر من الصعوبات ناجم عن استخدام المصطلحات القديمة (بخاصة الفرنسية منها) وعدم تدقيق المعنى الأصلي لبعض المصطلحات اللاتينية. يضاف إلى ما سبق صعوبة اقتراض المصطلحات الأعجمية ومسألة استخدام المترادفات. نتطرق إلى هذه الملاحظات في النقاط التالية:

1- الحاجة إلى قدر أكبر من التنسيق بين العاملين في التشريح في الأقطار العربية المختلفة:

توجد كتب تشريح مترجمة في أغلب البلدان العربية حتى في تلك التي لا يتم التدريس الجامعي فيها باللغة العربية، وقد تمت هذه التراجم على مدى عقود من الزمن، ويلاحظ أن كل قطر له إسهامه وخصوصيته، بل حتى إنه يوجد أحياناً تباين ما بين جامعات القطر الواحد، حيث تستخدم مصطلحات مختلفة للعنصر التشريحي الواحد. وهكذا يتضح أن العاملين في هذا المضمار غير مطلعين أحياناً على تجارب الآخرين أو أنهم غير معنيين أحياناً بتقدير أعمال الآخرين، أو أن بعضهم يندفع بادئاً من "نقطة الصفر" غير آخذ بالحسبان الأشواط والمراحل التي بلغتها جهود الآخرين،حتى إن بعض كتب التشريح ، المعروفة مثل كتاب Clinical Anatomy لمؤلفه Snell وكتاب Cunningham'S Manuel of practical Anatomy لمؤلفه Romanes ومصور Sobotta قد ترجم كل منها ترجمات مستقلة مختلفة في بلدان عربية مختلفة.

2- ضرورة إيلاء علم التشريح الاهتمام اللازم:

هنالك قسم من صعوبات الترجمة ناجمٌ عن عدم إيلاء علم التشريح، كاختصاص،الاهتمام اللازم نظراً لعدم وجود حافز مادي بحز مقابل الجهود الكبيرة التي يتطلبها العمل في هذا الاختصاص. فإضافة إلى العملية التدريسية أملت ندرةُ العينات التشريحية على المشرحين القيام بتشريح النواحي بأنفسهم بقصد الحفاظ على العينات ما أمكن، ويضاف إلى ذلك التعرض إلى روائح مخرشة ومناظر أقل ما يقال عنها إنها غير مريحة. وأما على صعيد البحوث ضمن نطاق التشريح، فهي تتطلب وسائل مكلفة غالباً ما لا تكون متوفرة، وهذا ما جعل بحوث التشريح ترتبط ارتباطاً مباشراً بالاختصاصات الطبية والجراحية الأخرى، وأدى ذلك بدوره إلى استخدام التخصص بالتشريح جسر عبور إلى اختصاص سريري آخر أو إلى عضوية الهيئة التدريسية. وهكذا تراجعت الحوافز التي تدعو إلى التخصص في التشريح، ودفعت هذه الحالة بعض الأطباء غير الاختصاصيين في التشريح إلى القيام بترجمة كتب في هذا الاختصاص مما زاد الطين بلة.

3-الالتباس الناجم عن استخدام المصطلحات الفرنسية القديمة:

هنالك قدر من اللبس في المسميات التشريحية العربية عائد إلى الاستناد في ترجمتها إلى التسمية الفرنسية القديمة، ونقدم مثالين على ذلك لا يزالان شائعين في الكتب المدرسية، وهما مصطلح"البصلة السيسائية"ومصطلح "الحليمات الكأسية".المثال الأول هو مصطلح البصلة السيسائية المأخوذ من المصطلح الفرنسي Bulbe rachidienne ؛ فالبصلة تقع في جوف القحف وليس لها علاقة بالسيساء Rachis أي"بالعمود الفقري "، ولا معنى لوصفها بالسيسائية، وقد تجسدت تسميتها التشريحية

أخيراً في المصطلح Medulla oblongata أي النخاع المتطاول، ولم يبق لمصطلح "البصلة السيسائية "سوى الدلالة التاريخية. المثال الثاني هو مصطلح الحليمات الكأسية المأخوذ من المصطلح الفرنسي Papilles Calciformes ، فهو مصطلح قديم أسندت إليه التسمية التشريحية الدولية اسم الحليمات المحوطة Papillae vallatae. وقد تنبه الفرنسيون منذ مدة طويلة إلى ضرورة استخدام التسمية التشريحية الدولية وعزز ذلك الاتجاهُ نحو توحيد أوروبا، بل إن هنالك ميلاً لدى الفرنسيين يهدف في النهاية إلى استخدام المسميات التشريحية باللغة اللاتينية على الرغم من مقاومة الجيل القديم لذلك؛ ومثل هذا الاستخدام أمر تستوعبه طبيعياً الفرنسية، بينما لا تتقبله اللغة العربية مما يحتم ترجمة التسمية التشريحية الدولية إلى اللغة العربية.

4- الالتباس الناجم عن تدقيق المعنى الأصلي للمصطلح اللاتيني:

نأخذ مثالاً على ذلك مصطلح "العضلة الحووية" Musculus splenuis (والتي لها قسمان رأسي وعنقي). فالمصطلح حووي يقابله المصطلح اللاتيني splenuis الذي يعود أصله إلى المصطلح الإغريقي Splénion الذي يعني عصابة مشدودة والذي يعود بدوره إلى مصطلح إغريقي أقدم هو Splên الذي يعني أيضاً نوعاً من العصابة. ولكن هذا المصطلح الإغريقي Splên يعني أيضاً الطحال (مع العلم أن للطحال تسمية تشريحية مرادفة هي Lien) مما دفع إلى ترجمة مصطلح splenuis إلى طحالي . ويبدو جلياً أن لا علاقة للعضلة بالطحال، والأصح هو استخدام ترجمة صحيحة لمصطلح Musculus splenuis والتي هي العضلة الحووية أو **العضلة العصابية** بدلاً من العضلة الطحالية، ويمكن تفضيل مصطلح "عُصابة " على مصطلح "حوية " لأن النسبة منه أبسط وبالتالي يفضل استخدام مصطلح**العضلة العصابية**.

5- مسألة الاقتراض:

اقترضت اللغات الأوربية بعض المصطلحات العلمية من اللغة العربية حين كانت اللغة العربية لغة العلم، ونذكر مثالين على ذلك في المسميات التشريحية هما المصطلحان Saphena و Nucha المشتقان من المصطلحين العربيين صافن ونُقرة على التوالي. وعند ترجمة التسمية التشريحية الدولية إلى اللغة العربية قد لا نجد مقابلاً مقنعاً في اللغة العربية لبعض المصطلحات التشريحية،وحينها يمكن اقتراض المصطلح اللاتيني واستخدامه في اللغة العربية بانتظار العثور على مصطلح عربي مُرْضٍ؛ ومثال ذلك مصطلح Ischiadicum الذي عُرِّب باسم الإسْك .. وهذا الاقتراض ليس عيباً في اللغة بل يمكن عده أحد جوانب غناها.

6- مسألة المترادفات:

يمكن للعنصر الواحد أن يكون له في اللغة الأجنبية أكثر من اسم، ومثال ذلك **الرحم** إذ تستخدم له ثلاثة مصطلحات المصطلح الأول هو Hystera **المشتق من اللغة** الإغريقية والذي تشتق منه عدة مصطلحات منها مثلاً Hysterectomie أي **استئصال** الرحم،والمصطلح الثاني هو Uterusالذي هو الكلمة اللاتينية المعتمدة في التسمية التشريحية. أما المصطلح الثالث فهو Metra ومنه اشتق مصطلحEndometrium أي بطانة الرحم. مثال آخر هو الخصية التي يستخدم لها مصطلحان: الأول هو Testis المعتمد في التسمية التشريحية ومنها يشتق مثلاً Testectomieأي استئصال الخصية، والثاني هو Orchis الكلمة الإغريقية التي تشتق منها عدة مصطلحات منها مثلاً Orchitis أي التهاب الخصية.

وهكذا فإن استخدام أكثر من اسم للعنصر الواحد في حالات محصورة لا يشكل ضرراً ولا يضر بمبدأ اعتماد اسم واحد للعنصر الواحد، ولعل في مسألة المترادفات هذه عاملاً يسهم في تسهيل التقارب بين الترجمات المختلفة في الأقطار العربية على أمل أن يقود التحاور والتنافس بين هذه الترجمات إلى تثبيت المصطلح الأفضل بين عدة مصطلحات معنية بعنصر واحد.

خاتمة:

بُذلت جهود كبيرة لوضع تسمية تشريحية عربية عبر عقود من الزمن. وقد اتخذ ذلك أحياناً طابع أعمال قطرية أو فردية في بلدان عربية مختلفة بحيث صار العنصر التشريحي الواحد يسمى أحياناً بأسماء متعددة مختلفة. ونظراً لزيادة وسائل الاتصال، كان لا بد من الاتجاه نحو اعتماد مشترك للمصطلحات الأدق والأنسب. ورغم التقدم الحاصل فإنه لا تزال هنالك إمكانات للتحسين تستند فيما تستند إلى النقاط التالية:

- الاستفادة من الأعمال السابقة ومتابعة المسيرة وتجنب العودة إلى الانطلاق من "نقطة الصفر".
- ترجمة عدد أكبر من كتب التشريح من آداب عالمية مختلفة: إنكليزية وفرنسية وألمانية إلخ..
- استناد الترجمة إلى التخصص في التشريح من جانب والتسمية التشريحية الدولية مع حد أدنى من الاهتمام باللغة اللاتينية من جانب آخر.
- التنسيق بين العاملين في التشريح في البلدان العربية المختلفة.
- البعد عن التوجه نحو قرارات "توحيد" مُلزِمة تجنباً لإيحاء القسر الذي يولد منعكس الرفض.
- إيلاء علم التشريح الاهتمام اللازم وتشجيع العاملين في مضمار هذا الاختصاص.
- العدول كلياً عن استخدام المصطلحات القديمة وعدم قبول الأخطاء الشائعة.

المصـــــادر

1-Bossy . J – la Grande Avanture du Terme Médical. Sauramps Médical 1999.
2-Bossy .J & coll – Anatomie clinique (neuro-anatomie), springer 1990.
3-Gradner. E, Gray. D.J, O'rahilly. R, Anatomie . Doin(Paris)1979.
4-Kahle. W, Leonhardt. h , Platzer.W. Anatomie. Flammarion (Paris) 1986.
5-Kamina. P. Dictionnaire Atlas d'Anatomie. Maloine S.A.
6-Laboratories Sandoz – Atlas Anatomique Sandoz 1973.
7- Nomina Anatomica –Churchil livingstone 1989.
8- Romanes G.J – Cunningham's Manuel of Practical Anatomy. ELBS (Oxford) 1984.
9-Rouviere. H- Precis d'Anatomie et de Dissection Masson (Paris) 1976.
10-Winkler.G-Manuel d'Anatomie Topographique et Fonctionnelle. Mansson & cie Editeurs (Paris) 1974.
11- محمد هيثم الخياط وآخرون- المعجم الطبي الموحد. مدليفات (سويسرا) 1983.
12- يوسف مخلوف- التشريح العام وتشريح الأطراف- منشورات جامعة دمشق- 1995.
13- يوسف مخلوف- التشريح الناحي والعملي- الهيكل والأطراف- منشورات جامعة دمشق 1995.

التوصيات

بمناسبة الندوة التي انعقدت بقصر "البوشيري يومي 6 و 7 أكتوبر/تشرين الأول 1999 عن "مفاهيم علم التشريح وتسمياتها" بمبادرة من مكتب تنسيق التعريب بالرباط، التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو)، وبمشاركة المجلس الدولي للغة الفرنسية (السيلف) بباريس، وحضور المشاركين الآتية أسماؤهم :

- ذ. كلود كينيزي، أستاذ التشريح
- ذ. يوسف مخلوف، أستاذ التشريح
- ذة. سوسن أحمد عبد الرحمان، أستاذة التشريح
- ذ. أحمد ذياب، أستاذ جراح
- ذ. أحمد شفيق الخطيب، خبير في صناعة المعاجم
- ذة. رتيبة الصفريوي، أستاذة منهجية التدريس والتواصل
- ذ. محمد توفيق الرخاوي، أستاذ التشريح
- ذ. عبد اللطيف بربيش ،طبيب أمين السر الدائم لأكاديمية المملكة المغربية
- ذ. عباس الصوري ، مدير مكتب تنسيق التعريب
- ذ. بدر الدين بلحسن، أستاذ
- ذة. السعدية آيت الطالب، أستاذة باحثة
- ذ. عبد الطيف عبيد، أستاذ
- ذ. جان شارل سورنيا، طبيب وأكاديمي
- ذ. بولونفسكي أكاديمي
- ذ. محمد بوزكري ، أستاذ اللغة العربية
- ذ. هوبير جولي، الكاتب العام للمجلس الدولي للغة الفرنسية
- السيد محمد سالم الحبش، المسؤول المالي والإداري بمكتب تنسيق التعريب

تعبّر المؤسستان عن عزمهما العمل معاً من أجل تطوير لغتيهما العربية والفرنسية وتحقيق إشعاعهما، كما تعبّران عن إدراكهما للجهود الكبيرة التي يتعيّن بذلها لإعداد مصطلحيّات شاملة ومتناسقة في المجال الطبّي عامة، ومجال التشريح، خاصّة.

وقد اتفقت المؤسستان على ما يلي :

1. إقامة علاقات تبادل معلومات وخبرات، وإنجاز تعاون منتظم في مجال العمل المصطلحي
2. إعداد الأدوات الضرورية للمصطلحات والترجمة (المسارد، القواميس،الأقراص المدمجة، قواعد المعطيات) لجعلها بتصرّف المستعملين
3. ولهذا الغرض، يتولّى مكتب تنسيق التعريب والمجلس الدولي للغة الفرنسية تبادل خبراتهما ومنتجاتهما في مجال المصطلحات، والسهر على تحيين المصطلحيّات الموجودة وإثرائها، وإعداد الأدوات المصطلحية الأحاديّة والثنائيّة اللغة، اللازمة لإنجاز التعريب.
4. ولهذا الغرض أيضا، يجتمع فريق عمل مشترك مرّة في السنة أو كلّما دعت الضرورة وبالتناوب، بهدف تقييم مدى تقدّم المشروعات المقررة واتخاذ كلّ الإجراءات الكفيلة بإنجازها.
5. قرر الطرفان، كبداية لإنجاز هذه المشروعات، اختيار مؤلّف مصطلحي في كلا اللغتين ودراسته من قبل الطرف الآخر بهدف إعداد أداة

مصـــطلحية تستثمر كلّ موارد العمل المصطلحي الثنائي اللغة.

وبصورة خاصة، فإن المجلس الدولي للغة الفرنسية سيشـــارك في أعمـــال مكتب تنسيق التعريب الهادفة إلى وضـــع الصـــيغة العربيّة لتصنيفة التشريح الدولية الجديدة (NOMINA ANATOMICA PARISIENSIS).

وفي مقـــابل ذلـــك، فإن مكتب تنسيق التعريب ســـيختار أحد المعاجم الطبية الصادرة عن المجلس الدولي لـــلغة الفرنسية بهدف تعريبه وضبط منهجية مصطلحية، تساعد على تعريب هذا الاختصاص، مع الأخذ بالاعتبار الحاجات التربوية (البيداغوجية) على مختلف المستويات.

وخـــتاما، فإن المشاركين يتوجهون إلى المؤسستين المنظمـــتين : مكتب تنسيق التعريب و المجلس الدولي للغة الفرنســـية بخالص الشكر على ما بذلتاه من جهود خيّرة لإعداد هذه الندوة وإنجازها في احسن الظروف، وعلى ما أبـــداه مســـؤولوها الأفاضـــل من كرم وضيافة وجميل ترحاب.